

حول كلمة "تليس"

للأستاذ أبو بكر عبد الكافي
صفاقس - تونس

جاء بلسان العرب لابن منظور : (التليسة)
وعاء يسوى من الخوص شبه القفمة وهى شبه العمية
التي تكون عند العصارين (2)

نفهم من هذا : ان التليسة مؤنث تليس وعاء
والوعاء هو ما يجمع فيه الشيء ويحفظ ، والفرارة أو
التليس (مذكر تليسة) هو كالوعاء للشيء وجاء نسي
شرح القاموس للزبيدي : (التليسة كسكينة وعاء
يسوى من الخوص شبه قفة وهى شبه العمية التى
تكون عند التصارين والجمع (تلاليس) والتليسة أيضا
كيس الحساب يوضع فيه السورق ونحوه) « 3 » .

اذن قد اطلق العرب (تليسة) جمع تلاليس على
القفنة والعمية وعلى : (كيس الحساب) فأخذها العامة
وحذفوا تاءها واطلقوها على (كيس الحبوب) ؟ الذى
هو (الفرارة) . أو (المعدل) ؟ وبهذا البيان فكلمة
(تليس) عربية محرفة جزئيا اطلقت على ما يشابهه
ما اطلقت عليه ؟

ما هو التليس أو الفرارة ؟

التليس ينسج من الصوف وشعر الماعز فيبدو
ملونا يجمع بين البياض والسواد أو بين السواد واللون
البنى أو اللون الزمادى على شكل مستطيلات عرض
المستطيل نحو أربعة أصابع ، ويشبهه نوعا ما من حيث
انصناعه (الحمل) عند أهل العراق الا ان التليس أو
الفرارة يخاط بعد النسيج كيسا يسع ما بين 42 صاعا
و 60 صاعا من القمح أو الشعير مما يقدر وزنه ما بين
150 كلغ و 185 كلغ تقريبا .

لقد لفت نظرى الاخ المحترم الدكتور أكرم فاضل
بارك الله جهوده الى كلمة (تليس) فى تعليق له بدورية
« اللسان العربى » التى تصدر عن مكتب تنسيق التمريب
واستخلص بعد التحقيق :

ان كلمة (تليس) العربية ليست سوى تحريف
لللمة الاسبانية (ترليز) terliz
وانها تشير الى نوع من الاقمشة .

وانها تعنى بساطا غليظا مختلف الالوان (1) .

وأرى من المفيد ان ادلى بما اعرفه عن هذه الكلمة
لانى اعتقد بانها كلمة تراثية من أعماق لغتنا الشعبية.
وكانت مستعملة قديما عندنا بتونس ، ثم زال حضورها
وبقى أثر وجودها فى بعض التعبيرات الشعبية والنصوص
التاريخية .

ان كلمة تليس بكر الاول والثانى مع تشديده
تجمع على تلاليس وجمعت على تلالس ونسب اليه
نقالوا « التلالسى » كما سياتى .

وفى المعرف الشعبى القديم
« التليس » هو كيس كبير لنقل الحبوب على
الابل ونحوها ويدعى اليوم (الفرارة) جمع غرائس
والتسمية عربية ويدعى أيضا (المعدلة) تحريف عدل
العربية .

والكلمة المعنى عربية اصيلة وليست بخيلة محرفة
انما طرأ عليها التغيير من حيث الصيغة والمدلول واليك
البيان :

وروى المالكي أيضا :

ان العالم الزاهد اسماعيل بن رباح الجزري (ت 212 هـ) خرج للحج فدخل مصر ووقف بحلقة العالم عبد الله بن وهب وعليه تليس فلم يقبل عليه أحد فصاح من آخر الحلقة قائلا : (أمن أجل لباسي هذا أتصني وأبعد ؟ ! فصاح ابن وهب : الى هاهنا الى هاهنا ، فتقدم اليه وعندما خلا معه قال له ابن وهب : لو لبيت وسطا من الثياب كان أحمد لك ؟ فقال اسماعيل : من تحمل حملا ثقيلًا من خشية الله تعالى أوشك ان يقضى به الى راحة فقال ابن وهب : صدقت (9) .

وهذا يدل على الانحطاط في التجرد من متع الدنيا ولذتها وشدة الورع والتقوى مما طبع في أذهان الناس وجعلهم يعتقدون بأن لا يلبس التليس أكثر الناس ثقة وأكثرهم تقوى وورعا وعبروا عن هذا بالمثل الشعبي القائل : (لو كانت الطفلة تلبس تليس ما هي الا بنت ابليس) ؟

وتواصل لبس الزهاد التليس حتى عندما صار يدعى الفرارة وبصفتهم بالجمهورية التونسية ضيمة كبيرة تدعى (سيدي بوغرارة) بينما في القرن الخامس الهجري نسب الى جمع تليس أحد فقهاء القيروان هو (أبو محمد عبد الواحد بن مفرج التالسي) (10) .

(4) مما يزيدنا يقينا ان التليس هو الفرارة تسمية الرجل الشعبي التونسي الكابوس الذي يعترى النائم فيزعجه (بوغرارة) بينما البدوي الى اليوم يسميه (بوتليس) وعندما تسأله ما هو التليس لا يفهمه .

وكان تسمية الكابوس (بوتليس) و (بوغرارة) لانه يفاجئ الانسان ويغيبه فلا يتركه يتحرك ، على معنى المثل الشعبي التونسي (غمه بتليس) ويقال لمن يفاجأ بالامر المفضى فلا يجد مخرجا .

ان كلمة تليس عربية اصيلة اطلقت على الفرارة وما زالت آثارها في التراث الشعبي .

واشكر الاخ الكريم الدكتور اكرم فاضل ومجلة اللسان العربي اذ لولاهما ما حررت هذه الكلمة وآمل ان اكون قد أفدت وبلغت ما علمت .

ويهتم بصناعتها أهل الريف والبادية لانه أكثر متانة وأكثر فائدة من كيس الخيش الذي نسميه (الشكارة) ويتسع لضعفه مع انه يصلح لنقل الحبوب على الأبل اذ كل جمل يحمل تليسين متعادلين ولذلك سمي المعدل . وما يؤكد ما ذهبنا اليه في تفسير كلمة تليس ما يأتى :

(1) قال ابن ناجي متحدثا عن عه وكان من أهل العلم : (فحدثني من نثق به من اصحابنا انه أعطاه يوما قفيزا شعرا وكان الغلاء وقال له اوصله للدار الفلانية ولا تعرف صاحبها انه من عندي وان لم تجده فلا تعرف أهله وفرغ الطممام وحبب التليس « (4)

ونفهم من هذا : ان التليس كيس كبير لنقل الحبوب وهو ما قررناه .

ونفس الاصطلاح نجده عند القرويين المصريين مع التشابه في النوع كما ذكر الدكتور اكرم فاضل (5) .

(2) ما زال أهل البادية ينتعمون بالفرارة كقراش الى اليوم وكذلك كان الناس وعلى الاخص الصوفيون يستعملون التليس كقراش .

روى الدباغ : ان مروان بن نصر بن حبيب (ت 340 هـ) تلميذ عيسى بن مسكين وهو من العلماء المباد كان له قراش ينام عليه عبارة عن شدة تصب وتليس خشن ووسادة محشوة تينا (6) .

(3) لا نستغرب ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عن لبس التاليس (7) لان هذه الظاهرة كانت في التقديم عند بعض الصالحين الزهاد الذين تجردوا من كل ما يشمرهم بهتمة دنيوية او لذة جسمانية حتى اللباس مما جعل بعضهم يلبس الصوف لخشونته ومنهم من كان يلبس « التليس » بعد تقوير فتحات العنق واليدين .

روى المالكي : ان العالم الزاهد عبد الرحيم بن عبد ربه المتوفى سنة 247 هـ الذي كان ملازما لقصر زياد انه رأى ذات ليلة من ليالى رمضان قائلا يقول له : كل من بات في هذا القصر مغفور له الا صاحب التليس .

وعندما أخذ يودع الناس تقدم له صاحب التليس ليودعه فاعلمه بما رأى وسأله عن قصته وأعلمه بأنه مملوك أبقي من مولاة (8) .

الهوامش :

- (1) مجلة اللسان العربي م 10 ج 3 ص 182 و 183 هامش 45 .
- (2) لسان العرب لابن منظور «تلس» وترتيب القاموس للزاوي ج 1 ص 312 .
- (3) شرح القاموس للزبيدي فصل ت باب س ج 4 ص 116 .
- (4) معالم الايمان في معرفة فقهاء القيروان للدباغ طبع تونس ج 4 ص 195 .
- (5) اللسان العربي م 10 ج 3 ص 183 هامش .
- (6) معالم الايمان في معرفة فقهاء القيروان ج 3 ص 58 .
- (7) اللسان العربي م 10 ج 3 ص 182 .
- (8) رياض النفوس للمالكي ت ح مؤنس ج 1 ص 332 .
- (9) المصدر السابق ص 245 .
- (10) معالم الايمان في معرفة فقهاء القيروان ج 3 ص 246 .